



مثلاً تنمو الطحالب والسراخس والأشنیات فوق سطوح المستنقعات الآسنة، تنمو طبقة سميكة من العفن فوق فكر الإنسان إذا لم ير الشمس، وهو معرض أكثر من أيّ مادة أخرى للعفونة والتفسخ.

ولا شكّ أنّ أربعين عاماً من العيش في الأقبية والدهاليز كفيلة بأن تشحن العقول بكمية من العفن تراكم مع الزمن كما يتراكم الذباب على اللحم الفاسد. والمؤلم أنّ هذه الظاهرة تفشت بين رجال الفكر والدين في سوريا، فلم ينجو منها إلا من رحم ربّي، فظهرت على ألسنتهم أعراض التسمم وظهر اليرقان الفكري والديني واضحًا جليًّا في خطبهم وبياناتهم وكتاباتهم الهزلية المترهلة. ومن المؤلم أيضًا أن يتعاطى البعض منهم بكلّ تلك اللامبالاة، بل وبكلّ ذلك التواطؤ، مع الأحداث الكارثية التي تمرّ بها سوريا حالياً والتي تعني وضتنا، شئنا أم أبينا، في بطن الكارثة.

وكسورية تعني أبعاد المأزق الداخلي الذي يعيشه الأهل في سوريا منذ بدء الاحتجاجات والحراك الثوري، لا أجد خيراً من رجال الدين ليرسموا لنا طريق الخلاص ويقودوا نضالنا إلى برّ الأمان، فالشعب السوري كان وما يزال نسيجاً تحكمه العقائد الدينية ويداعب روحه الكلام العاطفي، ويؤثر فيه رجال الدين ويصيغون مستقبله إذا أرادوا. والطامة الكبرى هي أنّنا لم نشعر بإرادتهم هذه إلى الآن. خريطة سوريا تواجه لحظة زلزال تتهاوى فيه الجغرافيا، وتنتفخ فيه الأماكن إلى حد الانفجار، أو تضيق إلى حد الإض migliori، أحياه كاملة تهدم وكيانات بشرية تتمزق، تاريخ يتزاح آيل للسقوط وتاريخ يُكتب، وهويات تُلغى ويسكب عليها النفط وتُضرم فيها النار، وهيأكل بشرية لا تملك الحد الأدنى من الهوية تسود وتميد.

سوريا، وللأسف تواجه ساينكس بيكون للمرة الثانية، وقدر الشعب أصبح في مهبّ المجهول. أليس من الغرابة أنّ المتضررين من هذا المجهول لا يبادرون إلى مواجهة الظاهرة المناخية الجديدة الناجمة عن احتباس طائفي، بعد ثقب جدار الصمت، ولا يعبرون ولو بالأقوال على الأقل، لا بالأفعال، عن رفضهم للانصياع وراء شيطان يقودهم نحو الهاوية؟ ما الذي يمنع هيئة علماء المسلمين السوريين من تبني موقف يدين وضع اليد الأسدية على كامل التراب السوري، ومحاولة تفككه أو إزالة وجوده demografique، بترحيل أهله وتهجيرهم والاستيلاء على بيوتهم وممتلكاتهم، لا يدركون خطورة الفكر الإرهابي الأسدية الذي يختزل كلّ الشراء السياسية والإستراتيجية في حرب معلنة ضد شعبه؟ لقد أصبحت القضية قضية وجود ووحدة أرض وشعب، وإن التنبية إلى خطورة ما يجري على الساحة السورية ليس من قبيل الاستعراض البياني لتسويق عوائم من الدرجة الثالثة في سوق النخاسة، بل هو واجب ديني أخلاقي تفرضه عليهم المسؤولية الجسيمة المنوطة بهم كرجال دين، مستخلفين في الأرض، لأنّهم مقاييس ريختر الشعوب الذي ينبع عن الزلزال قبل وقوعه ويتخذ كل التدابير لتفادي الآثار الكارثية التي

ستنجم عنه. فهل تعطلت حواسهم وفقدوا القدرة على استقراء الواقع أم أنهم أخلدوا إلى الأرض وتقاعسوا عن أداء أدوارهم المنوطة بهم؟

أين رجال الدين من كل ما يحدث في سوريا اليوم؟ وأين هيئة علماء المسلمين؟ لم نسمع منهم إلى اللحظة ما يشفي صدور قوم مؤمنين، وكلما أصدروا بياناً تهافت الجوعى على قصعة من حجارة، لا تسمى ولا تغنى من جوع، وقد سرت حمى الانشقاقات في صفوفهم، فانقسموا فيما بينهم إلى فريقين، الأول يرى ضرورة التغيير وتحمية زوال الحاكم المستبد كونه لم يستسلم الحكم بولاية صحيحة شرعية، ولم يلبي مطالب الشعب الإصلاحية، فنهجوا لذلك منهج الثورة ودعوا إلى خلع الحاكم جهاراً، وفق مذهب علماء الحنابلة الذين ذهبوا إلى القول بخلع الحاكم الجائر ومنهم ابن رزين وابن عقيل وابن الجوزي، وذهب الفريق الثاني إلى الأخذ برفض الثورة كأسلوب للتغيير لأن الظروف غير مواتية لها، والدعوة إلى الإصلاح بأسلوب متدرج سلمي وجزئي من خلال النصائح للحاكم والصبر على جوره ومن أهم من تبني هذا الموقف علماء الصوفية، الذين يرون فصل الدين عن الدولة، وعدم التدخل المباشر بسياسات الحاكم الجائر من باب سد الذرائع، أي ترجيح المصلحة المحققة من بقاء الحاكم الجائر على المفسدة المترتبة عن انتهاج الثورة سبيلاً للتغيير وتحقيق الإصلاح المنشود، لذلك دعوا الناس أن تلزم بيوبتها وتمسك عليها لسانها حفاظاً على الأنفس والأعراض والمتلكات، ورکنوا إلى الاستسلام للقدرة وإلى حتمية التغيير الإلهي للحاكم وفق سنته في الأرض التي ثبت عدم دوام الملك لغير الله.

ولسنا هنا بمعرض الحديث عن الزمرة الأشد فتكاً بين علماء المسلمين والتي ترى شرعية حكم الحاكم الجائر على أنها محض اختيار لا إجبار، ويررون استئثار الحاكم بالسلطة دون الشعب، ويرفضون التغيير جملة وتفصيلاً ويستندون في أحکامهم تلك إلى وجوب طاعة أولي الأمر عملاً (غير صحيح) بحكم الآية: {أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْفَقُوا أَمْرَهُمْ}، ونسوا أن الطاعة غير ملزمة حين يخالف الحاكم شرع الله ويفسد في الأرض، ولهذه الزمرة ينتمي البوطي والعكam والحسون وغيرهم من علماء السلطان.

وعودة لعلماء الزمرة الأولى، نقول: بعد مضي عام كامل على بدء الثورة السورية المباركة، وبعد ما عانه الشعب من ظلم وتنكيل وقتل وذبح متعمد وتهجير جماعي واغتصاب حرائر واعتقال تعسفي وقصف للأحياء وتخريب للممتلكات، وما إلى هناك من جرائم مروعة ارتكبها عصابات الأسد في سورية للحفاظ على السلطة، وبعد معاناة طال أمدها، ألم يحن الوقت بعد لتحملوا مسؤوليتكم أمام الله تجاه ما يحدث للمسلمين في سورية؟ الشعب يحتاج منكم موقفاً مشرفاً، ووقفة قيادية حكيمة تعيد رصّ الصدف و تستنهض الهم وتشحذ الطاقات وتذكر الثوار بأخلاص الإسلام والتحلي بالصبر، وتذكر الصامتين بواجبهم الإنساني تجاه جرائم ترتكب بحق أخوة لهم، وتحثهم على الانضمام للواء الثوار، وتحارب الأغنياء حتى تأخذ من أموالهم ما يدعم الحراك الثوري ويقبل عثرات المنكوبين وتعلن صراحة هدر دم كلّ من تسول له نفسه أن يقتل بريئاً عاماً متعمداً، أو يظلم بغير حق أو ينتهك العرض أو يفسد في الأرض، ويحتاج منكم يا علماء المسلمين أن تتولوا قيادة الصدف القتالية بأنفسكم أسوة بسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- سيد البشرية الذي خاض وقاد حرباً بنفسه فقاتل في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمة الله، ولم يتقاعس في الأقبية المظلمة خلف شمس الحق، لا يكفي منكم اليوم تصريحات هزلية وبيانات متزللة، لا ترقى لمستوى الجرائم التي ترتكب بحق الأبرياء، ولا تعفيكم من المسؤولية أمام الله عما يحدث، ولا تبرؤكم أمام الشعب من الاشتراك في الجريمة بسكتكم عنها، والساكت عن الحق شيطان آخر، وفي مثل هذه الظروف لم يعد ينفعنا أضعف الإيمان ولا نصفه بأن تستنكروا بالقلب واللسان، بل إن اللحظة هي لحظة فعل ومبادرة وتولي زمام القيادة، فإنما إيمان كامل أولاً إيمان. ولكم الخيار بين أن تموتوا موتاً رخيصاً في أروقة الظلام يقتلكم خوفكم قبل الرصاص، أو تموتوا ميتة يرضى عنها ضميركم وتشهد بها جوارحكم يوم الموقف العظيم.

الشعب بحاجة لكم اليوم حاجة للحياة، وإن لم تلتحقوا الركب اليوم فنصيحتي أن تحلقوا ذقونكم، لا حاجة لنا بها بعد اليوم.

توضيح: لعل الكاتبة تريد بمقالتها هذه علماء النظام، وإن فقد وجد من العلماء السوريين – بل ومن غيرهم- من قاموا بدور لا يجهله بصير، ولا يجده ناصح؛ تمثل بإصدار البيانات المنددة بأفعال النظام، والفتاوی المؤثمة لجرائمها، الداعية للانشقاق عن نظامه وجيشه، بل لقد قاد بعضهم المسيرات والمظاهرات ودعا إليها، وبحث أصواتهم وهي تبين جرائم النظام من على المنابر. وقدموا بعض فلذات أكبادهم فداء لثورة الكرامة والإباء، محتسبيهم شهداء عند ربهم. لذا؛ فنوناقق الكاتبة من حيث فكرة المقالة، ونشكرها على تصنيفها المنصف لمواقف العلماء. (نور سورية).

المصادر: